القضية رقم 18

رواية

زينب أحمد

القضية رقم 18

زينب أحمد

«إهداء 1»

إلى أسرتي~ مهما تحدثت فلن أستطيع التعبير
عن مدى حبي لكم.
اشكركم لوجودكم.

«إهداء 2»

إليك أيها المجهول: ألا تنوي القدوم؟

«إهداء 3»

إلى من أنتظر قدومهم بفارغ الصبر.
اتشوق لمعرفة كيف ستكونون وماذا ستحبون.
أعتذر على تأخر قدومكم لكن ليس ذنبي الخطأ
خطأ والدكم الذي لا ينوي القدوم كما يبدو!.

إلى " آ. ح."

[أهلا وسهلا معكم (إيزابيلا هاربر) مذيعة قناة رأي عام.
بسبب كثرة المفقودين في الأيام السابقة؛ أدى ذلك إلى تسائل المواطنين:
أين هم؟
هل هم أحياء؟
من يفعل ذلك؟
عصابة أم قاتل؟
ونأتي لأهم سؤال؛ أين الشرطة في كل ذلك؟]

أخفضت صوت التلفاز وأنا انظر إلى كومة من الأظرف التي بجانبي، كلها من أهالي المفقودين.
إن هذه القضية بها الكثير من الغموض!
من يفعل ذلك؟ وماذا يريد؟
أسئلة ليس لها إجابة إلى الأن...إذا هيا للعمل.

ينتظرننا مغامرة غامضة وممتعة...

1

«جوناثان»

أجلس بمكتبي، انظر تارة إلى كومة الاظرف بطرف عيني وتارة أخرى إلى الجدار الذي أمامي المزدحم بصور المفقودين، ليست جرائم خطف عشوائية أو مفقودين عاديين هنالك شيءٌ مشترك، لكن ما هو؟

مددت يدي ألتقط الاظرف، قُلت بداخلي حين أثار إنتباهي سقوط إحدى الأظرف:
_حسنًا لنبدا بك إذا.

"أختي مفقودة من ثلاثة أيام، في حال كان لديك متسع من الوقت لتحقق في إختفائها الذي من المؤكد إرتباطه بباقي المفقودين.....
إن أختي لديها شعر أسود قصير وعيناها بنية ولديها وشم فراشة صغيرة على خدها الأيمن."

أثار فضولي وجود شخص يفكر مثلي، أكملت قراءة بعض المعلومات الذي وضعها الأخ لكن.
رفعت رأسي لانظر للتلفاز الذي امامي.
بعدما سمعت بعض الكلمات عن جريمة قتل!.
أمسكت جهاز التحكم أرفع صوت التلفاز، وانا احادث نفسي:
_ترى ما الجديد؟

"عدنا إليكم بخبر عاجل، تم إكتشاف جثة شابة، في إحدى حواري المدينة، لم يتم الإفصاح عن معلومات اخرى حتى الان..."

أغلقت التلفاز وبعيني بحثت سريعًا على هاتفي.
لأتصل بصديقي مايكل:
_مايكل، كيف حالك يا فتى؟

_شاهدت الأخبار، وتريد معرفة موقع مسرح الجريمة؟
أجبته وانا متفاجئ بكلمات متقطعة، قائلًا:
-لم اتوقع ان تكشف أمري بهذه السرعة، إذًا ارجوك اخبرني، لانني اشك بعلاقة خفية بينها وبين المفقودين.

تنهد مايكل قائلًا بإستسلام:
_لا يجب ان أخبرك، لكنني أعلم أنك لن ترتاح إذا لم أخبرك.

ركضت فورًا، لأحضر معطفي ومفاتيحي.
قبل خروجي وضعت طعامًا لقطي لعدم معرفتي متى سأعود،
نظرت حولي باحثًا عنه، لاجده يقف عند رسالة الأخ.
داعبته قليلًا، وبدون تردد اخذت الرسالة معي وانطلقت في مغامرتي الجديدة لاكتشاف الحقيقة.

*****

«مسرح الجريمة»

مليئ بجموعة كبيرة من أفراد الشرطة!.
ليست جريمة قتل عادية، مثلما توقعت.

اقتربت بهدوء لكي لا ينتبه أحد لوجودي، ساعدني إنشغال الظابط المسؤول، سمعت أن اسمه "إدريان" لم يكن طويلًا، كان يصل بالكاد إلى كتفي، شعره اشقر لا يظهر عمره بوضوح لكن الخصلات البيضاء المنتشرة في شعره تظهر أنه اكمل من قريب، أربعون عامًا.

اكملت طريقي وعندما اقتربت من الجثة تأكدت من جميع شكوكي! لقد كانت الجثة مشرحة من اماكن معينة في جسدها، عند الرأس والقلب وبعض الأماكن الأخرى، ليست مقتولة بطريقة عادية حتى طريقة قتلها متقنة.
الذي شرحها شخص متمكن ويعلم ما يفعله حقًا!.

قاطعني صوت همهمة خلفي، التفت لأرى انه الظابط إدريان وبجانبه تقف مساعدته، يقفان بغضب من تطفلي.
وقفت مسرعًا، مدتُّ يدي مصافحًا له، قائلًا في محاولة إمتصاص غضبه الواضح على وجهه:
_أعتذر على تطفلي، أنا المحقق جوناثان ستيفن، أحقق في حالات الإختفاء التي تحدث الأن.
واشك بأن الضحية أحد المفقودين.

نظر إدريان إلى مساعدته، ثم عاد بنظره لي، قائلًا بحزم:
_إذًا، ماذا تريد؟
-أريد ملف هذه القضية ومعلومات بكل شيء وجد هنا.
اضفت قائلًا بود:
_إذا أمكن بالطبع.
وضع إدريان يده على رأسه مفكرًا، نظر إلى مساعدته يسألها:
_ما رأيك يا إيلين؟

كانت إيلين غارقة في قراءة شيء ما في هاتفها، اجابته وعيناها مازالت على هاتفها:
_لقد بحثت عنه يا سيدي، المحقق جوناثان، يبغل من العمر ثلاثين عامًا، ليس محققًا مشهورًا، لكنه يحل معظم القضايا التي أوكل بها، ولا يتوقف غير وهي منتهية، وقد تكفل بقضية المفقودين.

رفع إدريان كتفاه قائلًا:
_حسنًا سوف أشارك معك ما توصلنا إليه لغاية الأن.
ثم أشار بيده نحوي مضيفًا بلهجة أقرب إلى التهديد:
_لكن إذا وجدت أنت شيئًا، سوف تخبرني، إتفقنا؟

=بالتأكيد سيدي.

اومأ براسه، ثم أخرج من جيبه كيسًا شفافًا، به بطاقة شخصية!؟.
أعطاه لي قائلًا:
_هذه البطاقة وجدناها في حقيبة الضحية.
وليست لها، إنها لفتاة اخرى مازلنا نتحقق من هويتها.

أخذت منه البطاقة، كانت البطاقة لفتاة اسمها «ميا» لون شعرها اسود قصير، عيناها بنية اللون، ولديها وشم فراشة صغيرة على خدها الأيمن.
رفعت حاجباي بدهشة! قائلًا بهمس:
_إنها هي..كان شعور أخيها على حق!

نظرت إلى الواقفان امامي، يملؤهما الفضول منتظران توضيحًا لردة فعلي.

رجعت بنظري إلى البطاقة محاولًا تجميع الاحرف في عقلي، قائلًا وانا أشير إليها بيدي الأخرى:
_قرأت أحد رسائل عائلات المفقودين...إنها أخت صاحب رسالة منهم.
أكملت حديثي إليهم مخرجًا من جيبي الرسالة.

شرحت لهم المتواجد في الرسالة مختصرًا.
كاد إدريان أن يتحدث مطالبًا بتوضيح اكثر على ما أظن، قاطعنا أصوات شجار مرتفعة، ثم ارتفع صوت بعض افراد الشرطة، يبدوا ان أحد المواطنين فضولي زيادة عن اللزوم.

*****

إستأذن إدريان وذهب ليرى ما يحدث، وذهبت خلفه مساعدته، ظللت اتفحص البطاقة، قائلًا بداخلي:
_نفس المعلومات ونفس الشكل، بالتأكيد إنها هي.

هدأ الصوت، فنظرت لأرى من كان يفعل كل هذا، شاب! يبدو عليه انه في بداية شبابه، يظهر عليه الغضب بوضوحٍ، ولو كان الشخص كفيفًا، والتي تظهر ايضًا على حركات جسده الرياضي قليلًا، انه أيضا اطول من الظابط إدريان، حقًا أي شخص سوف يكون اطول من إدريان.
لكن لماذا أشعر انني رأيته من قبل، لكن أين؟

رفعت رأسي متذكرًا الرسالة.
وركضت فورًا بإتجاههم، قبل أن يأخذه إدريان إلى القسم:
_إنتظر...!

نظر إليّ إدريان منتظرًا ما ساقوله.
نظرت إلى الشاب قائلًا وانا أعطيه بطاقة ميا والرسالة:
_هل أنت أخ ميا وصاحب هذه الرسالة؟
اختطفها من يدي ناظرًا إليها، محركًا رأسه يمينًا وشمالًا، مرددًا:
_لا لا، لماذا هي!.
لماذا كان شعوري صحيحًا.

إنعكس الغضب في نظراته، غضب يكفي لتدمير مدينة كاملة، لكن في النهاية قد هدأ قليلًا.
طلب منه إدريان الذهاب معه إلى القسم ليحققوا أكثر عن إختطاف أخته.

*****

«القسم»

مكاتب كثيرة، عناصر شرطة في كل مكان، حالة فوضى، سببها القاتل المجهول!.

أقف في زاوية الغرفة، أنظر ناحية غرفة الاستجواب، لا أرى شيئًا لكنني اتوقع الاسئلة، والاجوبة ايضًا.
عدد المفقودين سبعة عشر شخصًا.
نساءً ورجال، اطفالًا وكبار.
ماذا يفعل بهم هذا القاتل، ماذا يريد؟.

صوتٌ مرتفع، صدر من باب غرفة الأستجواب.

خرج الأخ والذي أتضح أن إسمه «جاك» وعينيه تخرج نارًا، لو لم أكن مريضًا نفسيًا، سوف أجزم انني أرى هالة حمراء حوله.
اصطدم بالعديد من الأشخاص، غير مهتم بأحد مكملًا وجهته.
ماذا في عقل هذا الفتى يا ترى؟.

شعرت بإدريان بجانبي، كاد يقول شيئًا لا أعلم ما هو حتى الأن، بسبب مقاطعتي إياه قائلًا:
_أن جاك متهور، انا متأكد انه يفكر في فعل شيء ما، لكن لا أعلم ما هو.
قال إدريان مؤيدًا حديثي:
_أجل هذا واضح عليه, لقد علمت كيف علم بمكان الحادث، أنه صديق إبني آرثر وقد جعله يخبره بالمكان.
ثم إستدار قائلًا:
_حسنًا يجب أن اذهب، لدي الكثير من العمل.

ذهب إدريان.
وعدت انا إلى منزلي ومكاني المفضل، مكتبي، افضل مكانٍ للتفكير.

*****

«في ناحية أخرى»
«منزل إدريان»

في منزل مكون من دوران، بألوانٍ مريحة للعين، وحديقة متوسطة الحجم، مليئة بالكثير من الزهور.
داخل المنزل، تحديدًا في غرفة الطعام.

جلس الظابط إدريان على الطاولة منتظرًا إبنه آرثر ينتهي من إعداد العشاء.
جلس آرثر بعدما وضع أطباق الطعام، ناظرًا لوالده بعيون شغوفة منتظرًا أن يسمع ما حدث اليوم وهل الأخبار حقيقية.
وإذ بوالده يصدمه قائلًا
_كيف علمت بموقع الحادث؟ ولماذا أخبرت صديقك به؟

صُدم آرثر من معرفة والده بذلك، تساقطت قطرات العرق من على جبينه، ظل يلعب بخصلات شعره مفكرًا كيف علم والده؟
ماذا فعل جاك ؟ ألم يستطع إخفاء هويته وفَضح أمري؟

_أبي، سوف أشرح لك.....

****

2

«ميا»

في غرفة مظلمة مليئة بمعدات الجراحة الملوثة بالدماء والرائحة الكريهة، تجلس ميا فاقدة الوعي على كرسي متهالك.

فتحت عيناها ببطء، تنظر حولها تحاول معرفة أين هي؟
فزعت عندما تذكرت أنها...

"كانت تخرج من المقهى المفضل لها قاصدة منزلها مثل كل يوم، وفي منتصف الطريق ظهرت يدان من خلفها وظهر الضباب بالتدريج، ثم اختفى كل شيء وفقدت السيطرة على جسدها."

بين فزع ميا وصرخاتها المكتومة، فُتح بابٌ خلفها ودخل شخص من بين الظلام ممسكًا بها واضعًا مخدر في رقبتها.
وعادت ميا إلى الظلام مرة أخرى.

*****

«مكتب جوناثان»

وقفتُ أمام حائط التحقيق، متأملًا كل الصور الموضوعة عليه.
مضيفًا صورتين للمجموعة الصور، صورة لميا ولجاك، جلست على مقعدي وانا أفكر في الأدلة القليلة التي اعطاني إياها الظابط إدريان.

يشغل تفكيري سؤالٌ واحد! "ما هدف المجرم؟"
حدثت نفسي ممسكًا ملف القضية، اقراها للمرة العاشرة.
صفحة...ورائها صفحة.
ماذا يريد؟ ما سر تشريحه للجثة؟ رأسي.!! سوف انفجر من كثرة التفكير.
قاطع تفكيري قطي العزيز رفعته لمستواي فظل يتحرك كثيرًا.
حدثته مازحًا.
_هل أنت جائع يا صغيري؟

*****

"صوت رنين هاتفي"

سمعت رنين هاتفي فوضعت الطعام لقطي وذهبت لأرى من المتصل، كان 'الظابط إدريان' المتصل.

اجبت على الفور قائلًا:
_مرحبا إدريان، هل حدث جديد بالقضية؟

سمعت صوت ضجيج مرتفع لديه فعلمت انه خارج المنزل، قال محاولًا توضيح صوته:
_اريد مقابلتك ومناقشة ما يحدث، يمكن ان تشاركنا أفكارنا نستطيع حل القضية قبل حدوث جريمة اخرى.

لم أرد اخافته بأفكاري.
وانني متأكد بنسبةٍ كبيرة وجود ضحايا آخرى لا نعلم بها.
او المجرم لا يريدنا ان نعلم الأن.

أمسكت هاتفي بيدي اليمنى واحضرت معطفي بيدي الاخرى مجيبًا عليه:
_حسنًا انا أيضًا أريد مشاركة أفكاري، أين نتقابل؟

سمعت صوت محرك سيارة، ثم جاء صوته قائلًا:
_يوجد مقهى، بمنتصف المدينة سوف أرسل لك عنوانه بالتفصيل.
أغلق الخط، ذهبت أرتدي حذائي.

ثم انتبهت لصوتٍ يصدر من هاتفي، وصلت الرسالة، هيا بنا لنذهب.

*****

في طريقي إلى إدريان تصفحت بعض مواقع التواصل لأرى ما يقوله الناس عن الحادثة التي حدثت.

"قاتل". "مهووس". "مجرم خطير".
جميع التعلقيات بنفس الشكل.

لكن توقف أمامي تعليق طويل لشخص يعتبر نفسه فيلسوف.
"الأمر واضح انه يريد الفوضى....."
لم أكمل قراءة تفسير ذلك الشخص لوصولي إلى المقهى.
نظرت عاليًا للتأكد من الاسم، وانا أكمل خطواتي إلى الداخل.

*****

«إدريان في المطعم»

شرد إدريان عبر النافذة، يراقب خطوات الناس بصمت مفكرًا...
قد يكون القاتل أحدهم متخفيًا!.
قد يكون ذلك المحب الذي يحمل الزهور لمحبوبته.
او هذا الأب الذي يحكم إمساك يد صغيرته، لكي لا يفقدها عبر الزحام.
االو.....

قاطع أفكار إدريان صوت رنين هاتفه، أجاب بعدما وجد هوية المتصل ولده:
_آرثر، هل حدث شيء؟
=لا، لكنني أردت أن أطلب منك الذهاب إلى منزل جاك والمبيت فيه.
_لماذا الأن؟
=لمواساته يا أبي، جاك يحتاجني بجانبه الأن.
_حسنا انت محق، إذهب وأحرص ألا يفعل اي حماقات.
=بالتأكيد، إلى اللقاء.

ترك إدريان هاتفه عائدًا لشروده، استوقفه صوت باب المطعم، لينظر ويرى انه جوناثان.
وقف رافعًا يده مناديًا له:
_هنا يا جوناثان.

*****

"جوناثان"

دخلت المطعم.
حائطه باللون الرملي وارضيته بنية اللون.
مريحة للأعصاب والعين، خصوصًا لإثنان يحققان في قضية قتل مريبة.

وقفت لحظات أنظر لأوجه الأشخاص الجالسين، ابحث بينهم على إدريان.
سمعته من بعيد يناديني، التفتُ لمصدر الصوت متوجهًا إليه حين رأيته، كان واقفًا في نهاية المطعم بعيد عن الآخرين بجانب النافذة ومخرج خلفي للمطعم.

تصافحنا ونادى إدريان النادلة.
التفت لي برأسه قائلًا:
_قهوة؟
اومئت موافقًا.
غادرت النادلة فبدأ إدريان الحديث:
_بدون رسميات سوف أبدا الموضوع فورًا، وجدنا بصمة بموقع الجريمة لكنها تحتاج وقتًا لمعالجتها لانها مشوهة.
=إذًا..؟
_طلبت مجيئك، لأنني أحتاج مناقشة القضية مع أحد.
أشعر بوجود أشياء مفقودة بالقضية.

قاطع حديث إدريان عودة النادلة، واضعة كوبان القهوة، ثم غادرت.

أخذت رشفة صغيرة من كوبي، ثم قُلت:
_أشعر كذلك بأن هناك أمرًا مريبًا في هذه القضية، مثل ثغراتٍ صغيرة، غير واضحة، وأن المجرم يخطط لأشياء أكبر من القتل، خصوصًا وجود أثار إجراء عملية على الجثة.
وافقني إدريان وهو يخرج بعض الملفات:
_جميع ملفات القضية، معظمها كنت اعطيتك إياها.

*****

إنفصلنا أنا وإدريان عن العالم وظللنا نناقش أفعال المجرم.
لكن لم نتوصل لإجابة تريح عقلنا.
جلس إدريان وذهنه شارد في عالم آخر، وجلست أنا واضعًا يدي على رأسي، ناظرًا إلى الطاولة المليئة بالملفات وأكواب القهوة الفارغة.

خطر بذهني تعليق الشخص الذي قال أن المجرم يريد الفوضى.
اخذت هاتفي لأكمل قراءته.
لكنني لاحظت شخصًا ملثمًا ينظر بإتجاهي أنا وإدريان.

ألقيت نظرة خاطفة، ولم يبارح ذهني سوى فكرة واحدة.
(هل هذا هو المجرم؟)
تجمعت قطرات العرق على جبيني، زاد الحماس، رغبت بالركض والإمساك به فورًا.
نظرت مرة أخرى بطرف عيني
"لكنه بعيد!، سيلاحظ ويهرب"
شعر إدريان بإضطرابي، فسألني:
_ماذا هناك؟

أمسكت أحد الملفات وأشرت بإصبعي بشكل عشوائي ونظرت إليه قائلًا:
_هناك من يراقبنا، سوف أخرج من الباب الخلفي وأحاول إمساكه.

لم أنتظر إجابته وذهبت سريعًا، أعدت النظر بطرف عيني ورأيت مكان الملثم.
بعد خروجي ذهبت من شارع جانبي.
وفي بضع دقائق كان الملثم يقف أمامي على بعد بضع خطوات.
تسللت وصولًا إليه وكدت أمسك به، لولا صوت القطة الذي افزع كلانا، أعدت نظري إليه لكن صدمني بلكمته مما أدى إلى سقوطي.
وقفت مهرولًا محاولًا اللحاق به.

كان إدريان يتابعنا طوال الوقت، وعندما رأى الملثم يركض خرج فورًا ورائه.
ظل الملثم يركض بين الزحام والممرات سريعًا، حتى وصل لطريقٍ طويل.
نظرت لإدريان مشيرًا إلى الإتجاه الأخر من الشارع، وأكملت ركضًا وراء الملثم.
بعد مطاردة طويلة، تعثر الملثم ووقع مما أتاح لي الأقتراب منه.
حاول الوقوف ودفعي مرة أخرى والركض لكن تصادم مع إدريان.

أحكم إدريان إمساكه، ذهبت إليه، وخلعت القناع الذي يرتديه قائلًا:
_وأخيرًا أمسكتك أيها.....
لم تكتمل فرحة الإنتصار، إثر الصدمة التي حلت على وجهي أنا وإدريان.
تحدثنا في نفس اللحظة:
_أنت؟!...

*****

"في وقتٍ لاحق_مكان أخر"

بين طرقاتٍ مظلمة، تنتشر الدماء على الأرض، والرائحة الكريهة في المكان، يصدر أنين خافت قي الأرجاء.
يظهر المجرم يخطُ في الطرقات ساحبًا بيده جسدًا فاقد الوعي، مغطى الوجه بقطعة قماشية.

ضحية جديدة؟.

*****

3

"جوناثان"

لم تكتمل فرحتنا بإلقبض على المجرم.
لأن كان من يراقبنا كل هذا الوقت هو «جاك»
تراجعت ممتلئ بخيبة أمل كبيرة.
أما إدريان فإنقض على جاك بالكثير من الأسئلة:
_لماذا أنت هنا؟ ولماذا كنت تراقبنا؟

ضاقت أعين إدريان وتغيرت نبرة اسئلته، ثبت نظراته على جاك، قائلًا بشك:
_هل قابلت آرثر اليوم؟.
حرك جاك رأسه يمنًا ويسارًا، قائلًا وعلامات الأستغراب على وجهه:
_لا، لماذا سوف أقابله؟
=لقد ذهب إلى منزلك منذ بضع ساعات.

نفى جاك مقابلة آرثر اليوم، موضحًا:
_لا أعيش في منزلي الآن، كنت اراقب المحقق منذ يومين.
قاطع حديث جاك، صوت اللاسلكي الخاص بإدريان:
_إلى جميع الوحدات، تم إكتشاف جثة اخرى، لمن على مقربة من الموقع أن يذهب فورًا.

إنقبض قلب إدريان، تجولت عيناه في كل الإتجاهات بقلق، وأخذ يمرر يده بين خصلات شعره بتوتر.
من السهل معرفة ما يشعر به!.

أردف جاك محاولًا تهدئة إدريان:
_سوف أتصل عليه لا تقلق، ليس هو بالتأكيد.
تدخلت قائلًا:
_أيضا نحن قريبون من موقع الجثة يجب أن نذهب لنتأكد ونجري التحقيق بأنفسنا
اومأ إدريان برأسه، فإنطلقنا ذاهبين لمسرح الجريمة الجديد، خلفنا جاك يحاول الإتصال بصديقه.

*****

وصلنا إلى مسرح الجريمة، كان إدريان شارد الذهن طوال الطريق، حاول جاك تهدأته ومواصلة الإتصال بآثر حتى فقد الأمل.

ذهب إدريان ليرى ما الأدلة التي تم إيجادها، ووقف جاك مكانه يراقب الأجواء.
أما أنا، فاقتربت من الجثة قبل نقلها للمشرحة.
كانت مثل الأخرى تم إجراء عملية ما في رأسها ثم قلبها وكم عملية أخرى قبل تشريحها.

شككت أن بضع العمليات الجراحية خدعة لتشتيتنا.
لكن أيهم؟؟.
طلبت من أحد الظباط الواقفين قفازان، أحضرهم لي ثم تركني مع الجثة بمفردي، بناءً على توصية من إدريان.
حينما يكون صديقك شرطي، يعود عليك هذا بفوائد عظيمة.
تمعنت بأماكن التشريح واحدة تلو الأخرى، أدق عملية هي التي بالرأس والتي كانت تصل من الرأس حتى الأذن!.

حاولت التفكير في سبب لهذه العملية، لكن بدون جدوى!.

قاطع تفكيري ضجيج وأصواتٍ غير مفهومة، نظرت لأرى ما يحدث:
_إدريان!.

فوجئت بإدريان، فاقدًا الوعي!.

*****

«في مشفى»
«جوناثان»

بين أربعة حوائط بيضاء، ورائحة المرضى والأدوية.
وقفنا انا وجاك فى ممر المشفى أمام الغرفة التي يتواجد بها إدريان.

إنهار إدريان عندما وجد بطاقة آرثر عند الجثة، تمامًا كما وُجدت بطاقة ميا أخت جاك، من قبل.
شعور أن إبنه قد يكون الضحية القادمة كان يفوق قدرته.

_رائحة المشفى، كم أكرها.!
قالها جاك بضيقٍ، ووجهٍ غاضب كالعادة، لمحت حزنًا مخفيًا في عينيه

فقد أخته والآن صديقه، من المؤكد أن ضميره يقول له انه سبب إختطاف آرثر.

عدت بنظري إلى غرفة إدريان مفكرًا.
وحين وصولي لهذه النقطة، اتسائل!.
هل كان آرثر ضحية بسبب صديقه جاك ووالده إدريان الذي يحقق في هذه القضية من الأساس؟.
أم إختاره المجرم بالمصادفة؟.

صدر صوتًا من الغرفة، فجائت ممرضة ودخلت.
خرجت بعد عشر دقائق، فتقدمنا انا وجاك منتظرين حديثها.
إبتسمت لنا قائلة:
_لقد أفاق الظابط، ويمكنكما الدخول.

*****

"بعد عشر دقائق"

فُتح الباب وظهرت إيلين، تقدمت بخطوات ثابتة بإتجاه إدريان.
كان جاك منهمكًا في تصفح هاتفه، تعجبنا أنا وإدريان من صمتها وملامحها الصارمة.

لم تجلس عند إقترابها من الكرسي المجاور لسرير إدريان، وبدون سابق إنذار، أخذت الوسادة بخفة، هامسة ببعض الكلمات، ثم فجأة ضغطت بالوسادة على وجه إدريان، تحاول قتله!

صُدم كل من في الغرفة، لم أفهم ما يحدث تجمد قلبي، وظللت واقفًا كالصنم، مشوشًا.
أفاق جاك من الصدمة راكضًا نحوها، ابعدها عن إدريان قائلًا بإنفعال بعدما دفعها:
_ماذا تفعلين؟؟؟

قبض جاك يده بقوة وكاد أن ينفجر في اللحظة التالية، لكن اوقفه صوت إدريان:
_أتركها تذهب يا جاك.
ابتعد جاك، وغادرت سريعًا مبتعدة، لكن الفتت قبل خروجها، قائلة لإدريان:
_أعتذر.
اومأ إدريان فغادرت الغرفة.

*****

_أريد الرحيل.
قالها إدريان فور مغادرة إيلين، أعطى جاك مفاتيح سيارته ليذهب ويحضرها.
غادر جاك بينما ذهب إدريان لتغيير ملابس المشفى بملابس أخرى.

جلست أحاول تفسير تصرفات كُل من إدريان وإيلين.
صحيح أنه موقف لم يتعدى الخمس دقائق، لكن لا يستوعبه عقل طفلٍ حتى.
خرج إدريان بعد انتهائه، في نفس توقيت صعود جاك، توجهنا بإتجاه منزل إدريان.
قاد جاك وجلست بجانبه، وجلس إدريان بالمقعد الخلفي شارد الذهن، يتصبب عرقًا.

قررت الخروج عن صمتي قائلًا:
_ماذا بك يا إدريان؟
أراك شارد الذهن منذ خروجنا.

تأكدت من شعوري بعد ردت فعله الموتورة، أنه يخبأ شيئًا ما.
تعلثم محاولًا تجميع حروفه ليقول:
_ليس هنالك شيء، أفكر فقط قي آرثر، وقرار الشرطة بعد علمها بأنه ولدي.

"نصف الحقيقة"

اومأت برأسي وتركته وشأنه، منتظرًا حينما يقرر هو التحدث.

*****

بعد عشر دقائق وصلنا إلى منزل إدريان وفور دخولنا، التفت إدريان لجاك قائلًا:
_هل يمكنك إحضار بعض العصائر والطعام لي، المنزل فارغ كان يجب أن اتبضع البارحة.
=ليس هنالك مشكلة
ذهب جاك، وعمّ الصمت حتى قطعه همهمة إدريان. "اخيرًا"
نظرت إليه منتظرًا ما سيقوله:
_حسنًا، لم أحبذ إشراك جاك في هذا لذلك جعلته يغادر.
=وماذا أيضًا؟

إعتدل إدريان في جلسته، في حيرة ظاهرة في وجهه يحاول تجميع حروفه، قائلًا:
_إيلين لم تكن تحاول قتلي فعلت ذلك لكي تضع هذا الملف تحت الوسادة.

أخرج إدريان ملف متوسط الحجم من ملابسه، مرتدفًا:
_قالت أن الملف به معلومة مهمة وأيضًا أنه تم إقصائي من التحقيق لكي لا تكن مسائلة شخصية بما أن آرثر ولدي.

ارتفع الإدرينالين لدي لم أتوقع هذه الأخبار، شعرت أننا نتقدم بخطوة الآن على المجرم لمرة.
تحول نظري إلى الملف، متسائلًا:
_هل تعلم ما به؟
=لا وليس لدينا وقت، هيا بنا نذهب من الباب الخلفي لنذهب قبل رجوع جاك.

*****

خرجنا متسسلين من المنزل لا نعلم وجهتنا حتى، إقترح إدريان أن نستأجر سيارة وبالفعل فعلنا.

استأجرنا سيارة صغيرة، ذهب إدريان لمقعد السائق وركبت بجانبه، فور تحركنا أعطاني الملف منتظرًا قراءتي له.
كنت متحمسًا لقراءة ما به، فتحت اول ورقات الملف قارئًا بعيني اولًا.

نظر إدريان بطرف عيناه قائلًا وقد فرغ صبره:
_ماذا وجدت؟
=هنالك معلومات كثيرة محجوبة، لكن المعلومة المفيدة أنه نتيجة بصمة، البصمة التي اخبرتني بها في المطعم.
_هذا المتوقع، وماذا أيضا؟
اخرجت من الملف ورقة مطوية، وفتحتها قائلًا:
_هذه الورقة فقط، أنه عنوان!

4

في نفس المكان المظلم، يظهر المجرم مرة أخرى، واقفًا ينظف أدواته الحادة من آثار دماء قديمة.
التفت نحو جسد آرثر الملقى بلا حراك، ثم باشر بتقطيع قطعة صغيرة خلف أُذنه ليبدأ بإجراء تجربته عليه.

"انطلقت صرخة مدوية من فم آرثر، مزقت سكون المكان... ثم إختفت الصرخة، وكأن شيئًا لم يكن."

*****

"جوناثان"

ذهبنا انا وإدريان سريعًا لعنوان صاحب البصمة معتقدين أننا هكذا سنكون أمسكنا المجرم أخيرًا.
كانت الشقة صغيرة متواجدة بالدور الأول من المبنى، تفوح منها رائحة كريهة جدًا وأغراض متناثرة في كل زاوية.
"لم أتوقع أن يكون منزل القاتل بهذا الشكل!" لم تكن الشقة مليئة بالغرف لذلك كان سهلٌ تفتيشها بسرعة، لتصطدم بوجهنا صدمة جديدة.

سمعت صوت إدريان صارخًا بإسمي، اتجهت إليه سريعًا، لأجده ينظر إلى جثة لمجهول مبعثرة في الحمام تمامًا مثل الأغراض التي بالخارج.
"لم يعد هناك شك...هذا هو مصدر الرائحة."

نظرنا أنا وإدريان لبعض بصمت، لكن أعيننا تتحدث بغضب وخيبة الأمل التي نشعر بها، بعدما تأكدنا أننا وقعنا في فخ المجرم!.

لم نلحق أن نفكر حتى، لنسمع صوت إنذار سيارات الشرطة تقترب:
_لنذهب لسُلم الطوارئ بسرعة.

ركضنا سريعًا بإتجاه النافذة المؤدية إلى سلم الطوارئ.
هبط إدرايان اولًا وانا خلفه، لمحت شيئًا بطرف عيني، بعدما نزلت"دراجة نارية لتوصيل الطعام" معلق بها حقيبة صغيرة بعض الشيء.
تذكرت أنني رأيت ملابس لعامل توصيل بشقة الضحية. "إنها دراجته."

قد يكون بها ما يفيدنا أو فخ آخر؟.
لم يكن هنالك وقتٌ للتردد، إتخذت قراري، سأخذها.

*****

بعد الركض بين الأزقة هروبًا من سيارات الشرطة، جلسنا أنا وإدريان نستريح في مقهى، ملأ الإحباط وجهه تحيط به هالة سوداء بائسة.
"من يخطو بجانبه سوف يصاب بالإكتئاب على الفور."

أخرجت الحقيبة ووضعتها بمنتصف الطاولة صامتًا ليس لدي طاقة للحديث، لكن تحولت نظرات إدريان على الحقيبة ثم عليّ، رُسمت علامات الإستغراب عليه." ولو كنا في حالة أفضل لكنت تخيلت علامة إستفهام فوق رأسه." تحدثت فاقدًا الأمل:
_إنها للضحية التي بالشقة.

أشرق وجه إدريان، وفتح الحقيبة على أمل إيجاد ما يساعدنا للقبض على المجرم.
أخرج من الحقيبة مجرد هاتف وزجاجة مياه وبطاقة شخصية فقط.

أخذت منه الهاتف ولحسن حظي لم يكن يضع الضحية رمزًا للحماية، ظللت أبحث عن أي شيء حتى وجدت برنامج للمهام، دخلت على البرنامج على أمل أن أجد أي شيء يدل على مكان المجرم.
"تبًا، عناوين أخرى."

نظرت إلى إدريان ووجهت إليه الهاتف ليقرأ:
_ماذا!، مرة أخرى.
ما رأيك؟ هل هذا فخ أيضًا؟.

تنهدت مفكرًا "بالطبع أشك وكيف أثق في أي دليل في هذه القضية"، قُلت بعد تفكيرٍ عميق:
_شعوري يقودني بأنه ليس فخ، لأن الضحية كانت عامل توصيل فوجود هذه العناوين بالطبع صحيحة.
المشكلة هنا، كيف سنعثر هل العنوان الصحيح؟

شرد إدريان قليلًا ثم إندفع قائلًا:
_أترك ذلك عليّ، سوف أتصل بإيلين وأخبرها أن تتحرى عن جميع العناوين وترى أنسب عنوان قد يكون هو المقصود.

ذهب إدريان ليتصل بإيلين من هاتف عمومي، وشردت أنا في كل ما يحدث، مفكرًا ما هدف هذا المجرم؟.

*****

تقدم إدريان إليّ قائلًا:
_هنالك عنوانٌ مناسب، مصنع مهجور تم شرائه قبل شهر من ظهور أول جثة وجدناها.
=هيا بنا إذًا.

ذهبنا فورًا بالسيارة، جلست بجانب إدريان وهو يقود، كان يبعد عنا المصنع ساعة، في منتصف الطريق لاحظت بريقًا بأعين إدريان حين أقتربنا من حديقة، قاطعت شروده قائلًا:
_ماذا بها؟

لم يستوعب سؤالي فنظر لي متعجبًا:
_من؟
أشرت بإصبعي بإتجاه الحديقة:
_الحديقة.

_أجل.
صمت قليلًا ثم أكمل، شاردًا بذكرياتٍ قديمة:
_لقد كانت زوجتي تأخذ آرثر إلى هذه الحديقة.
=كانت؟

أغمض عينه لثانية، ثم تنهد بعمق قائلًا:
_توفيت عندما كان آرثر صغيرًا، لكنه طفل ذكي مازال يتذكرها شكلها وطبعها لا أعلم كيف.

قررت إلتزام الصمت باقي الرحلة، وغرق إدريان في محيط ذكرياته.

*****

تائه بين بين ظلام عقله، يشاهد سقوطه من بعيد.
"أين أنا؟"
رأسي يألمني، أشعر أن أحدهم يأكل رأسي.
"أين أنا؟"
"ماذا أفعل هنا؟"
مشاهد متفرقة لأكثر أوقاته ضعفًا.
بعد صراع داخلي، إستطاع آرثر تمالك نفسه، ومن بعيد سمع صوت خشن بلهجة روسية.
_تبًا، لم يقبض عليهما!.

*****

"جوناثان"

أمام مبنى متهالك تفوح منه رائحة كريهة مثل القمامة، ونوافذه محطمة، الأرض حوله قاحلة، وقفنا متأملين المكان، ذهبت مخرجًا مصباحًا من حقيبتي وتقدمت ناحية الباب محاولًا فتحه، لكن مر عليه الزمن حتى أصابه الصدأ.

أشرت لإدريان ليساعدني في دفعه، بعد العديد من المحاولات استطعنا فتحه والدخول، كان المدخل الأمامي مظلم مع بعض أشعة نور قادمة من كسور النوافذ المحطمة.

تقدمنا خلف ضوء مصباحي، لنجد نفسنا نقف أمام خياريين ، بابان، لم يكن إفتراقنا إختيارًا في هذا المكان المجهول حتى وإذا كان سيسرع عملية البحث، ذهبت باتجاه الباب الأيسر، تبعني إدريان بصمت.

كانت الغرفة ممتلئة بأرفف عليها زجاجات وأنابيب بها مادة لزجة، لم اتمكن من معرفة ما أصل هذه المادة، خرجنا بعد انتهائنا من البحث، كان الدور على الغرفة الأخرى، وبمجرد دخولنا صدر صوت سقوط شيء ما بالخارج، تبادلت النظرات انا وإدريان للحظة ثم ركضنا للخارج.

بين الظلام المسيطر على الأجواء، ظللت أشير بالمصباح في كل مكان حتى رأيت جسدًا من بعيد يحاول الإختباء، قُلت بصوتٍ مرتفع:
_رأيتك أخرج.
تنهد بخيبة أمل واقفًا، رافعًا يداه باستسلام، قائلًا:
_انا جاك.

تصدر إدريان مندفعًا بإتجاه جاك والغضب مرسوم على وجهه:
_ماذا تفعل هنا!
صرخ جاك وأخرج الغضب الذي كان يكتمه من بداية القضية:
_هل كنت تظن أنك سوف تضحك عليّ بهذه الخدعة الرديئة، كنت أعلم أنكم تخططون.....

قاطعته خوفًا ألا يصمت أبدًا:
_ليس وقتًا مناسبًا للعتاب، هيا نستمر في البحث.
اكملت مشيرًا بإصبعي لجاك:
_حياتك مسؤوليتك أنت الذي جئت برغبتك.

اومأ موافقًا، ذهبنا واكملنا البحث مرة اخرى...

*****

بعد نصف ساعة من بحث متواصل خرجنا من الغرفة فارغين الأيدي، لم يكن هناك أي شيء في الغرفة غير الكثير من الكتب الطبية والجراحية، لم يكن لأحد المقدرة على الحديث في موقف مثل هذا فأكملنا سيرنا لبعد الغرفتان.

كلما خطونا خطوة كان الظلام يكثر والرائحة الكريهة تحيط بنا من مكان ما محاولة خنقنا، وجدنا أمامنا باب كبير تبادلنا النظرات قبل الاستمرار، لم يكن لدينا غير لغة العيون نتحدث بها.

فتح جاك الغرفة، فهبتّ علينا رائحة كريهة نفاذة، أكملنا دخولنا الغرفة ومحاولة أن نرى أي شيء، ثم فُتحت إضاءة الغرفة!، التفتنا أنا وإدريان حولنا حتى رأينا جاك يقف بجانب أزرار الإضاءة رافعًا كتفيه ببراءة.

استدرت لأصدم مما تراه عيناي! غرفة عمليات كاملة!
من أدوات جراحة وتشريح وسرير مرضى! الفارق الوحيد الدماء التي تلطخ المكان بأكمله "أثر عملية جديدة" أيعقل؟

تجولنا في أرجاء الغرفة متأكدين أنه المكان الصحيح، لكن لا يوجد دليل على مكان آرثر وميا حتى الآن!

شعرت أنني سمعت صوت خافت من مكان ما نظرت لإدريان وجاك لم يكن أحدهما، حاولت تركيز حاسة سمعي لتحديد مصدر الصوت، وصلت لآخر الغرفة كان هناك سجادة مكانها غريب، ازحتها وإذ بي أرى باب قبو يصدر منه صوتٌ غير واضح مصدره.

"قد يكون فأرًا، أو أحدًا هناك!"

5

_إدريان، جاك
قولتها هامسًا، وأنا أشير إلى باب القبو، نزلنا بحذر متوقعين حدوث الأسوء.

هالة سوداء تحيط بنا، لا يوجد غير صوت صرصور الحقل، وصتب فأرًا مختبأ، وصدى خطواتنا، ورائحة الدماء التي تملأ المكان.

همهم إدريان مشيرًا برأسه إلى الأرض، قائلًا:
_يوجد شيء لامع على الأرض.
لا أعلم لماذا شعرت باقتراب حدوث شيءٍ سيءٍ، قلبي ليس مطمئن، قُلت والقلق مسيطر عليّ:
_أحذروا نحن لا نعلم ما مقدرة ذلك المجرم في الخداع.

أومأ إدريان موافقًا، لكن وجدنا جاك يتقدم بآلية مريبة، تجمع العرق على جبينه، وحين وصل إلى الشيء اللامع سقط على ركبتيه، يحاول الحديث لكن من الصدمة تخرج الكلمات مبعثرة، ممسكًا سلسلة كانت تحت ملابسه، والشيء اللامع الذي على الأرض، والذي أتضح أنه سلسلة بنفس الشكل!.
"كانت السلسلة تخص اخته."

·{غاص جاك في ذكريات يوم ميلاده حين أعطته أخته، ميا هذه السلسلة قائلة له والإبتسامة تشرق على وجهها:
_إذا افترقنا في يوم، سأكون معك هنا، لا تقلق.}·

تسمرنا أنا وإدريان مكاننا، لم نعلم ماذا يجب أن نفعل، او نقول.
رفع جاك رأسه ناظرًا حوله بجنون، باحثًا على شيء، يتمنى ألا يجده!

لاحظت ثبات عيناه على زاوية في القبو، وحينما نظرت صُدمت، كان هناك جسدًا مغطى لا يظهر منه غير "قدم".
وقف جاك وتقدم ببطء ناحية الجسد، صرخت متجهًا إليه:
_لا يا جاك، سوف أنظر أنا.

لم يستجب لكلماتي، وأكمل طريقه حتى وصل إلى الجسد، قدم يده رافعًا الغطاء سريعًا و.....

*****

تراجع جاك للخلف بخطواتٍ سريعة، ممسكًا فمه بيده، تهبط الدموع من عيناه بغزارة، امتلأ المكان بصوت أنفاسه، احتضن إدريان جاك محاولًا تهدئته، كانت ردة فعل جاك توضح هوية الجثة، لكني تقدمت للتأكد أكثر.

"إنها هي" حدثت بها نفسي وأنا أنظر غلى الجسد الذي أمامي، نفس وشم الفراشة وملامح وجهها، لكن مرهقة "بشدة".
لاحظت نفس آثار العملية الجراحية التي كانت في الجثث الأخرى، في ماذا يفكر المجرم؟؟؟
وضعت الغطاء عليها مرة أخرى وإستدرت، قابل وجهي وجه إدريان، نظر إليّ بأمل أخير بأن تكون شخصًا آخر وجاك أخطأ، نظرت للأرض وانا أحرك رأسي يمينًا ويسارًا.
تنهدت إدريان بألم وخوف، الكثير من المشاعر الكئيبة ملأت الغرفة.

*****

"في الوقت ذاته"
"أمام المصنع"

خرج آرثر من سيارة سوداء اللون، جسدًا بلا وعي، وقف بجانبه المجرم بنفس طول آرثر، مرتديًا ملابس كلاسيكية، ممسكًا في يده اليمنى عصا مميزة برأس غراب فضي اللون لامع، منحوت بدقة عالية، بأعين لو لم تكن تعلم أنها منحوتة لأقسمت أنها تنظر إليك.

وحين بدأ المجرم بالسير، تحرك آرثر خلفه كظله، دخل المصنع قاصدًا غرفة العمليات، بخطوات متوازنة، وصدى صوت العصا، فتح باب الغرفة وترك عصاه بجانب الباب، جاء ليستدر ويكمل سيره، لكن فوجئ بصوت خافت يصدر من القبو.

*****

بعد صعوبة استطعنا اقناع جاك بالخروج الآن وإكمال ما جئنا من أجله، أصبح هادئ بشكل مريب كجثة متحركة بلا مشاعر، تغرق عيناه في الفراغ، تنهمر الدموع على خديه بصمت.

أمسك إدريان بجاك طوال الوقت مواسيًا له ببعض كلمات، يُربّت على ظهره من حين لآخر، صعدت أولًا، شعرت أثناء صعودي بتعكر في الهواء أكثر من قبل، لا أعلم مصدر ذلك الشعور، ابتسمت بسخرية مفكرًا هل اصابتني صدمة أثر الاحداث الاخيرة التي حدثت، لم أهتم كثيرًا بهذه الأفكار وأكملت صعودي حتى خرجت.

نظرت على إدريان وجاك من فوق، وفجأة شعرت بوجود شخص خلفي، استدرت لأفاجأ بوجود رجل طويل القامة يقف بمنتصف ظلام الغرفة، تبادلنا النظرات لثانية، التفت لأنبّه جاك وإدريان، لكن قاطعني ضربة على الرأس من الخلف بشيءٍ حاد.
"من ضربني! كان المجرم بعيدًا عن من المستحيل أن يستطيع التحرك في بضع ثواني!"
"هل يوجد مجرم آخر!"

سحبني المجرم الآخر ووضعني أرضًا، بعيدًا، وعاد أدراجه منتظرًا صعود جاك وإدريان، لم أستطع رؤية وجه والأهم "كيف لم الحظ وجوده من الأساس!؟"، غارقٌ بدمي، عاجز عن الحركة، منتظرًا الهلاك لإصدقائي.
في ظل ذلك لاحظت هروب المجرم الأول الذي رأيته في البدايه، ولا أعلم لماذا أشعر بمعرفة هويته!.

بدأت افقد الوعي، تفكيري مشوش، ينتشر الظلام حول عينيّ، لا أستطيع الرؤية، في وسط ضوضاء رأسي سمعت صوت إدريان يصرخ بأسمي، ماذا يحدث؟؟، فَتحت عيني بصعوبة، انهم يتشاجرون معه.
ما الذي أراه! لماذا يحاول إدريان الحديث معه! حاولت معرفة هوية المجرم الثاني لكنه لم يلتفت ناحيتي.

لكن! لاحظت شيء! أذنه! بها نفس العملية الجراحية، يجب أن اخبر إدريان.
"إدريان" صوتي لا يخرج! لا لا لا يجب أن أحاول مرة أخرى، حاولت الصراخ بكل ما أمتلك من قوة:
_إدريان، أذنه، أضرب أذنه، ثم غاب كل شيء، وفقدت الوعي تمامًا.

*****

"جوناثان"

فتحت عينيّ ليخترقها ضوءٌ ساطع لدرجة الألم، أين أنا؟ كنت مستلقيًا حاولت الجلوس لكنني كنت مرهق، بعد عددٍ من المحاولات، إستطعت الجلوس، شعرت بألم مفاجئ برأسي، شديدٌ مثل طرق المطرقة على الطاولة.

فُتح بابٌ من العدم، مازلت عيناي مذبذبة، ظهر إدريان بالتدريج قائلًا:
_على مهلك، إصابتك ليست خطرة لكنك تحتاج الراحة.
نظر إليّ ثم على مكان الإصابة، مكملًا:
_لكنها ليست متاحة، اعتذر لك، نحتاجك هنا.

قاطعته قائلًا:
_أين نحن؟
=أوه أجل، أنت بسيارة مشفى، أمام المصنع.
مازال الألم يسيطر على رأسي كلها ويشتت تركيزي، حاولت التماسك متسائلًا:
_لماذا تحتاجون لي؟
تقدم إدريان لمساعدتي للوقوف:
_تعال، سوف إريك ما وجدناه.

ذهبت مع إدريان بإتجاه خيمة نصبتها الشرطة أمام المصنع لتُحقق في كل شيء، في طريقنا قص عليّ إدريان الأحداث التي يعافر عقلي لتذكرها، والتي كانت مثل القنبلة لي، المجرم الآخر...كان "آرثر".
أقسم إدريان ما يقارب عشرون مرة أنه صحيح كان آرثر، لكنه لم يكن هو بنفس الوقت، كيف؟ لا أعلم.

أخبرني أيضًا أنني قبل أن يغشى عليّ صرخت بكلمة" إدريان، أذنه" حينها ضرب آرثر على أذنه، لتحدث حالة أشبه بصرع لآرثر، ظل يصرخ بألم ممسكًا رأسه ثم دفعهم وهرب.

وصلنا إلى الخيمة، ذهب إدريان إلى الظابط الذي أمامها، أقف شاردًا في الفراغ، لا أعلم ماذا يحدث معي، هل أثرت بي الإصابة بهذا الشكل؟، جاء إدريان ودخلنا، أرشدني إلى طاولة عليها ورقة لكن مغلقة، و...عصا...هذه العصا اتذكرها!.

_لا يمكن!
قُلتها محدقًا برأس العصا الذي على شكل غراب!!
نظر إدريان إليّ متسائلًا:
_ماذا هناك؟

كنت شارد الذهن مع أعين رأس الغراب، دخلت بحرب تحديق معه، حتى انتبهت لسؤال إدريان، استدرت إليه موضحًا:
_اعرف هذه العصا جيدًا، كيف لي أن أنساها، إنها مِلك لشخص يدعى "أندريه" أنه رجل مختل، جائني منذ عام تقريبًا، طالبًا مني التحقيق خلف رجل من رجاله، لكني شعرت بثغرات لم يخبرني بها.

التفت حول الطاولة ومازلت عيني على رأس الغراب، مكملًا.
_رفضت، حينها هددني بضع مرات ثم إختفى تمامًا، كانت هذه العصا ترافقه دائمًا، ولها صدى صوت مميز، غير شكلها بالطبع.

نقر إدريان بإصبعه على الطاولة، نظرت إليه، وجدت عيناه تلمع كمن وجد كنزًا، انتظر أن يقول شيئًا، وجدته أشار إلى الورقة، قائلًا:
_عرفت الآن معنى رسالته، حديثك يفسر الكثير.

أمسكت الورقة وفتحتها لاقرأ ما بها بصوتٍ مرتفع.
"سررت بلقائك مجددًا يا جوناثان، لم أكن أتوقع رؤيتك، كيف حالك؟"

_شخصٌ مثله، ماذا سوف يريد!!!
لم أجد إجابة من إدريان، كلانا كان يحاول التفكير والبحث عن أي يدلنا على الخطوة القادمة، نظرت حولي مستوعبًا شيئًا:
_أين جاك؟

نظر إدريان لأعلى محاولًا تذكر آخر مرة رأى بها جاك:
_لا أذكر، لقد تفرقنا بعد خروجنا فورًا.
نظرت إليه بقلق واضح بنبرة صوتي:
_هل تتوقع أن يتهور؟

كاد أن يجيبني لكن قاطعه صوت..."رنين هاتف"

*****

6

لم يتأخر إدريان بعدما رأى هوية المتصل أجاب فورًا، وهو يوجه نظره عليّ، هامسًا لي:
_إنه جاك.
ثم واصل حديثه في الهاتف، موجهًا كلامه إلى جاك بانفعال وقلق:
_أين أنت؟ ظللت أبحث عنك.
توقف قليلًا ليستمع، ثم أجاب بسرعة:
_أين! نحن قادمون إليك فورًا.

أغلق الهاتف، ثم وضعه في جيبه وهو يستدير بإتجاهي، بدأت الحديث سريعًا، لم أقدر أن انتظره حتى يحكي هو، بعدما رأيت تعابير وجه المتفاجئة، سألته:
_ماذا قال لك؟
أجاب بحماس مكتوم، بسبب قلقٍ من الأحداث الاخيرة، لا ألومه، من ذا الذي يستطيع تحمل هذا الكم من الفوضى! انتبهت لصوته يقول:
_لقد أخبرني أنه عثر على وكرٍ جديد لأندريه، يجب أن نرحل الآن، قبل أن تأتي الشرطة ويحققوا معنا.

وقفت متفاجئًا، بغير تصديق من هذه السرعة الغريبة في إيجاد أندريه، ثم لاحظت آخر جملة قالها، فقُلت بانفعال من تصرف الشرطة:
_ماذا؟ ماذا؟ لم تعد للتحقيق؟
قال، رافعًا كتفيه بقلة حيلة:
_لا، مازلوا مُصرين انني سوف أفسد التحقيق، لأن آرثر ولدي.

قُلت متنهدًا، لم استوعب تفكير الشرطة ولو مرة:
_كيف سنخرج إذًا؟
نظر إدريان حوله يبحث عن مكانٍ نهرب منه، ثم أشار إلى جزءٍ من الخيمة، قائلًا:
_هنالك فتحة صغيرة، فلنوسعها ونخرج.

*****

بعد وقتٍ لا بأس به من هروبنا من الخيمة، وصلنا إلى العنوان الذي اخبرنا به جاك، مكانًا مهجورًا مرة أخرى! رائحة كريهة تمامًا مثل الاخر بل وأسوأ، كيف لم يبلغ أحد عن هذه الرائحة! تبًا لم أفق من صدمتي الأولى لأجد نفسي في صدمة جديدة.

من بعيد صدر همسًا، يناديني أنا وإدريان، نظرت بإتجاه الصوت، لأرى رأسًا تطل من وراء حائط لمبنى، ذهبنا إلى مصدر الصوت، وكان جاك، جالسًا بجانبه زجاجة ماء، كان صامتًا، كانت الصدمة عليه شديدة، لكن تماسك.

ثم قال بعد لحظاتٍ من الصمت:
_حينما خرجنا من المصنع، وذهب إدريان للإتصال بالإسعاف والشرطة، لاحظت جسدًا ممدد بعيدًا عنا قليلًا، اقتربت حتى تأكدت أنه آرثر.

نظر بأسف إلى إدريان، ثم أكمل:
_لم أقدر أن أقترب منه، فراقبته من بعيد، حتى آفاق وبدأ يتحرك.....مثل الرجل الآلي!
وتابعته حتى وصلت إلى هنا، فقط.

قال فقط مثل جدٍ يحكي قصة مشوقة لأحفاده، ليس أن صديقه تحول لرجلٍ آلي، ولا نعرف السبب حتى الآن، همهمت متسائلًا:
_ماذا الآن؟
قال إدريان سريعًا، كمن كان ينتظر هذا السؤال بفارغ الصبر، مع نوعًا ما من المخاطرة:
_ندخل، بالتأكيد.
أومأت، قائلًا:
_هيا.

تحركنا متسليلين لباب ذلك المكان، وقد كان الدخول أسهل مما هو متوقع، أثار ذلك شكوكي، لكني لم ألحق مشاركتها، لظهور غاز أخضر يملأ المكان! تفاجئنا، ونظرنا فوقنا على مصدر قدومه، حتى بدأ جسدنا يتخدر بالتدريج. "خدعة مرة أخرى!"

*****

شعرت بماءٍ بارد يتساقط على رأسي، مما جعلني أفيق من الغاز، فتحت عينَي ببطء رافعًا رأسي مستكشفًا أين أنا، وقع نظري عليه، أنه هو، أندريه، يقف أمامي بشحمه ولحمه، بنفس شكله وابتسامة السخرية التي تزين وجهه كعادتها.

جلس أندريه واضعًا قدمًا على الأخرى، مرتديًا ملابسه الكلاسيكية المعتادة، بجانبه عصا أخرى بنفس شكل رأس الغراب!
تختلف فقط في لونها الذهبي اللامع، لكن تنظر إليها ترى نفس نظرة الغراب المريبة.

ضحك أندريه لحظة رأيته لإندهاشي، ثم قال بلهجته الروسية الثقيلة:
_هل كنت تتوقع أنني سأصنع عصا واحدة فقط؟ كيف لي أن أكتفي بنسخة واحدة من شيءٍ خلابٍ كهذا؟

وقف ممسكًا العصا، متجولًا في أرجاء الغرفة، قبل أن يقف أمامي وينحني ليكون بمستوى طولي، مكملًا حديثه ساخرًا ببعض الجمل:
_جوناثان، لقد ابهرتني حقًا، صحيح انني تركت العصا عمدًا حينما سمعت اصواتكم خارجة من القبو، لكني لم اتوقع قدومك بهذه السرعة، أحسنت.

"ماذا!" قُلتها بداخلي، هل يقصد!؟ كان هناك دليل بالعصا التي تركها!.

قاطع أندريه تفكيري بحديثه، والذي كان مستمتعًا وهو يقوله بشغف كبير، مثل الطفل الذي يحكي لوالدته عن إنجازاته في المدرسة:
_لكن، من الأفضل قدومك مبكرًا، لتشاهد نجاحي المبهر، سوف أحكم العالم يا جوناثان، سترى.

أنهى جملته بضحكة فخر، ثم نظر لي مبتسمًا مثل التعابين، يسير يمينًا ويسارًا، قال بعدما توقف عن الحراك:
_لو كنت وافقت على مساعدتي، كنت ستحجز مكانًا لك معي، خسارة.

ظللت صامتًا، فذهب وتركني، جالسًا على كرسي أمام طاولة، يعبث بأشياء صغيرة الحجم، لكن تعيقوني المسافة بيننا، لا ارى ماذا يفعل، استكشفت المكان بعيني، غرفة صغيرة قليلًا مظلمة مثل باقي المكان، يربط يدي بحبلٍ قوي.

بعد صمتٍ قررت التكلم، قائلًا:
_الشخص الذي كنت تريدني أن ابحث ورائه، من يكون؟ وماذا فعل لك؟
استدار أندريه بالكرسي، ساعده في ذلك وجود عجلاتٍ بالكرسي، نظر لي يتفحصني محاولًا معرفة سبب السؤال، ثم قال بسخرية:
_انت تتحدث! ظننت أن قطتك أكلت لسانك، عمومًا إجابة على سؤالك، فالشخص كان قد صنع لي هذه التحفة، لكنه قرر أن يخبأها عني حينما عرف سبب طلبي لها.

استدار مرة اخرى بالكرسي ثم عاد رافعًا يده اليمنى، ممسكًا بإصبعين شريحة صغيرة جدًا، شريحة! وفقدان آرثر للوعي، ماذا يفعل هذا المخبول بالناس؟؟...

تراجع أندريه برأسه، مُصدرًا صفيرًا بفمه محركًا التلفاز بإتجاهي وهو يراقب وجهي، مستمتعًا بتغير ملامحي للدهشة، ظهر على التلفاز إدريان وجاك، مسجونان في سجن زجاجي، من المؤكد أنه سميك، بدأ إدريان بالنظر حوله بعدما أفاق، ثم جاك، محاولان استيعاب موقعهما.

وقفا بصعوبة، يبحثون في أرجاء القفص عن أي شيء، حتى ثبت نظر إدريان خارج القفص، محركًا شفتاه قائلًا شيئًا لم أفهمه، نظرت بالإتجاه الذي يتظر عليه، وجدت آرثر مقيدًا من كلتا يداه، معلقًا بالسقف، فاقد الوعي.

حينما لم يستجب آرثر لأبيه، جَنّ جنون إدريان وظَل يدفع الزجاج محاولًا تحطيمه، لكن لم يحدث شيء، ظهرت الدماء بالتدريج تسقط من أيدي إدريان، مما جعل جاك يتدخل ساحبًا إدريان بين أحضانه بعيدًا عن الزجاج، في محاولة لتهدأته رغم البركان الذي بداخله.

اخرجت تنهيدة مليئة بكل أنواع المشاعر من قلق وحزن ليأس وشعور بالعجز، ماذا يجب أن أفعل!

*****

7

"في السجن الزجاجي/عند إدريان وجاك"

نقترب رويدًا رويدًا من التلفاز حتى ندخل به ذاهبين باتجاه إدريان وجاك، لنشاهدهما جالسين في زاوية السجن، يمسك جاك بإدريان بإحكام، لكي لا ينهار مرة أخرى، نظراته تجوب حول إدريان وصديقه آرثر الذي يجهل ما حدث له حتى الآن!

يغوص في أعماق عقله، لا يعلم كيف صمد أمام الأحداث الأخيرة"وفاة أخته بسبب مجرمٍ، وخطف صديقه وتحويله لشيء غريب، ومطاردة المجرمِ المخبول من مكانٍ لمكان واقعين في فخٍ آخر"

لكن كل ما يشغل باله الآن هو إنقاذ صديقه وإدريان والمحقق والخروج سالمين من هنا، من داخله "تملأه رغبة في التخلص من أندريه"
حاول كبح تفكيره، وقاطعه صوت إدريان"منقذًا له في نفس الوقت" قائلاً:
_لا تقلق

انتبه إليه جاك، نظر إليه متأملًا، وجد رجلًا رغم شعوره بالانهزام يجلس متماسكًا، شاردًا بإبنه والحال الذي اوصلهم لكل هذا، أكمل إدريان، وهو يدخل إصبعه في فمه مخرجًا شيئًا صغير:
_لقد زرعت متعقب بسِنّه، تقريبًا سوف تصل الشرطة قريبًا.

أخرج المتعقب ومن حسن حظه لم يكن ينظر أندريه إلى التلفاز، تشنج وجه جاك يسأل إدريان باستغراب:
_لماذا لم تخبرني أنا أو جوناثان؟
=أجل هذا، حقًا أنني لا أعلم، وجدت أن هذا الأفضل.

لم يقتنع جاك كثيرًا، لكن تفهم أن القرار كان سريعًا، قاطع حديثهما صوت إنذار مفاجئ، وقفا كليهما متحدثان في نفس الوقت وهما ينظران لبعضهما:
_ماذا يحدث؟
الشرطة وصلت!

*****

"عند جوناثان"

أغمضت عيني محاولًا التفكير في حلولٍ تساعدني أنا ورفاقي، وفي ظل تركيزي، صدر صوت إنذار مرتفع، افزعني أنا وأندريه، وجدته يتحرك بالكرسي سريعًا في اتجاه التلفاز ليرى ماذا يحدث.

اختلست النظر من ورائه، لأشاهد الشرطة تقتحم المكان، متقدمين للغرفة التي بها إدريان وجاك، كان التلفاز منقسم الآن لعدة شاشات، نظرت إلى الشاشة التي يظهر فيها جاك وإدريان فوجدتهما يقفان مستعدَّين رغم ابتعاد الشرطة قليلًا.
"إدريان اذًا، لماذا لم يخبرني!"

انتبهت لأندريه، والذي كان يفقد أعصابه كلما اقتربت الشرطة للسجينين، دخلت الشرطة وحرروا كُلًا من إدريان وجاك، وعندما اقتربوا من آرثر، بدا كانه فقد عقله تمامًا، هامسًا ببعض الكلمات:
_لا لا لا، لا تفعلوا هذا.

عدت بنظري للتلفاز والقلق يتصاعد لدي، لماذا يخاف أندريه من تحرير آرثر لهذه الدرجة؟
لم تمر خمس دقائق حتى علمت السبب، فلما حرروه، استيقظ على الفور! لكنه لم يكن آرثر! مثلما قال إدريان في المرة الفائتة.

لم يحتج إلا لبضع لحظات، لقتل خمسة أفراد من الشرطة بأبشع الطرق، ممزقًا البعض، وضاربًا البعض الآخر حتى الموت!
تجمد الدم في عروقي، وأنا أشاهده يقتل واحدًا تلوى الآخر.

ركض أندريه بعد هذا المشهد فورًا، فاتحًا باب لم يمكن ظاهرًا، نظرت نحوه للحظة فرأيت سلمًا، عدت بنظري إلى التلفاز، عاجزًا مرة أخرى، أشاهد بصمت، قتال آرثر مع الشرطة قاتلًا من يقف أمامه، حتى....."لا، ابتعدوا" لماذا يقتربان منه! "انه ليس هو لا تحاول يا إدريان" سوف يقتلهم! لا لا

انهمرت الدموع من عينيّ، لم أدرك انني مازلت استطيع البكاء! لا اتذكر آخر مرة بكيت بها، لكن الأمر كله لم يعد مجرد مهمة اتلقى المال عندما انتهي منها، لقد أصبحوا جزءًا مني.....

*****

"قتال آثر وإدريان وجاك"

تجمد كُلاً من إدريان وجاك حينما شاهدا آرثر، يقف بآلية، فاتحًا عينيه، ليظهر احمرار يملؤها، ثم.....قتل خمسة من رجال الشرطة، بسرعة فائقة لا يستوعبها العقل، اقترب بعض رجال الشرطة الآخرين، لكن كل من وقف أمامه، قد فارق الحياة!

اندفع إدريان، تحركه غريزة الأب، يأمل في داخله، أن آرثر مازال موجودًا، وأنه يستطيع أن يفيقه، لكن.....هذا ليس آرثر، سدد آرثر لكمة قوية جعلته يرجع بخطواته للخلف، في ظل الهدوء نسمع صوت تحطم فؤاد إدريان، رغم عدم وجود صوتٍ لتحطم الفؤاد.

اندفع مرة أخرى ممسكًا يدى آرثر غير مبالي لضرباته شديدة القوة، قائلًا بصوتٍ يملؤه الحزن:
_آرثر، أرجوك أفق يا ولدي.

صرخ إدريان بسبب دفع آرثر له، مصطدمًا بجدار السجن الزجاجي، تقدم آرثر بإتجاهه ليتابع الهجوم عليه، لكن تدخل جاك دافعًا آرثر بقوة، ليسقط أرضًا بسبب جثة شرطي، التفت جاك ليطمئن على إدريان، فوجده يضغط على جرحٍ بجانبه الأيسر، بسبب قطعة زجاج قد كسرت حينما اصطدم بالجدار.

ركل آرثر جاك بقدمه ليسقطه أمامه، طرحه أرضًا، ليبدأ الاثنان تبادل اللكمات بتسارع وحشيّ بلا رحمة، لكمة من جاك، رغم قوتها، لك تملؤها رجاءً أن يعود صديقه العزيز، لكن يرد عليه آرثر بلكمة اقوى تسكته، تفَوّق آرثر على جاك مطيحًا به،

واقفًا بوجهه الخالي من التعابير، اقرب لشخصٍ متبلد المشاعر، ساحبًا سلسلة من القيود التي كان مقيدًا بها، ثم.....ضرب رأس جاك بها، انهمرت الدموع من إدريان المُلقى قربهما، ومن جوناثان الذي يشاهد كل هذا وهو مقيدًا فوق، عاجزًا عن تقديم المساعدة.

التفت آرثر ممسكًا بالسلسلة، متحركًا بآلية باتجاه إدريان مصدرًا صريرًا من السلسلة ممتزج بصوت أنين جاك في الخلفية، كان إدريان يحرك رأسه ببطء والدموع تنهمر من عينيه مثل الشلال، فأغمضهما منتظرًا موته على يد إبنه!

سمع إدريان صوت صراخ من شخصٍ يتألم، اختلس النظر فوجد آرثر يمسك أذنه وهو يصرخ، متحركًا بهمجية من الألم، نظر إدريان خلف آرثر، فرأى جاك بالكاد يقف، مبتسمًا مشيرًا إلى أذنه، قبل أن يسقط.

هدأ آرثر قليلًا، لكنه مثل الطفل التائه الذي وجد نفسه في منتصف حديقة كبيرة بمفرده، يشعر بالضياع غير مدرك أي شيء، آخر ما يتذكره هو الخاطف الذي خطفه، فماذا يفعل هنا؟ نظر خلفه فوجد الكثير من جثث الشرطيين، وهو الوحيد الذي يقف، ارتعب آرثر، كل ما حوله يشير إلى أنه الفاعل! لكن كيف!

التفت يمينًا ويسارًا، ليصدم بوجود والده أمامه ينزف بعض الدماء ويلهث بصعوبة، بدأت الدموع بالهبوط ببطء، نظر لوالده، قائلًا بتلعثم:
_أبي، ماذا حدث هنا، ماذا حدث لك! أجبني يا أبي؟

لم يستطع إدريان قول كلمة واحدة، لا يعلم هل يفرح على عودة إبنه، أم يحزن على حالته وما فعله ووصل به لهذا، لم يجد آرثر ردًا، فتراجع للخلف، لكن تعثر بشيء ما، نظر على ما أسقطه، ليجده جاك ممددًا على الأرض ينزف دماء بغزارة من رأسه.

اندفع باتجاهه ممسكًا وجهه، قائلًا وهو يرتجف، بصوتٍ مختنق بالبكاء:
_جاك.... ماذا حدث لك أنت أيضًا....ماذا يحدث لي؟

حرك جاك رأسه بصعوبة، وبالكاد استطاع فتح عينيه، مودعًا صديقه العزيز، قائلًا بصوتٍ أقرب إلى الهمس:
_صديقي، أهلا بعودتك، لا تشعر بالذنب، هذا ليس خطأك.

تراجع آرثر، مستوعبًا من آخر جملة قالها جاك، أن شعوره حقيقيّ " انا فعلت هذا!" لم يجد شيئًا يفعله غير الوقوف والركض بدون توقف بعيدًا....مبتعدًا عن كل شيء.
ركض آرثر مسرعًا وهو يمسح دموعه بكفيه المرتجفتين، ثم اصطدم ب.....

أندريه! الذي كان يركض هاربًا عبر السلالم، نظر آرثر إليه مدركًا هويته "انه هو خاطفه" من تسبب له بكل هذا، امتلأ الغضب أعين آرثر، لا يدري من أين له بهذه القوة لكنه وجد نفسه ينقض على أندريه، يضربه بكل ما لديه من قوة، حتى شوه وجهه.

وقف آرثر، منكسرًا لما وصل له، والدموع تهبط بغزارة بما فعله بصديقه ووالده، لا يستطيع ايقاف تخيل ما فعله بهم! وبأفراد الشرطة، هل أصبح وحشًا!

بخُطًا مترنحة أكمل سيره محاولًا الهرب من ماضيه، قائلًا بهمسٍ ممتزج بشهقات متقطعة:

_لم أكن يومًا قاسيًا، لكن بسببك فقدت جزءًا مني!.

*****

8

"في مشفى"
"جوناثان"

بعد الأحداث المريعة الأخيرة، موت جاك، إصابة إدريان الخطيرة حتى أغمى عليه، هروب آرثر وقتله لأندريه، كنت أراقب كل هذا، كما أشاهد برنامجي المفضل، لكن ما يختلف هنا، أن كل هذا كان يحدث في الواقع، ليس تمثيلًا، ويحدث لمن اعتبرهم اصدقائي.

جائت الشرطة متأخرة كالعادة، بعد هروب آرثر، حررتني من قيد العجز الذي فيه، وأخذت إدريان للمشفى سريعًا لأن نبضه كان ضعيفًا، لكن جاك.....قد كان لهث أنفاسه الأخيرة، وقفت قليلًا عند جثته، ناظرًا لوجهه، كان لا يزال مبتسمًا! نزلت دمعة من عيني رغمًا عني.

أخرجني من ماضي اليوم وأحداثه، صوت باب عمليات الطوارئ، وهو يُفتح ليخرج منه الأطباء المسؤولين على إنقاذ إدريان.

تقدم أحدهم باتجاهي، يحاول الابتسام رغم الإرهاق الظاهر عليه، قائلًا:
_كانت الإصابة بعيدة عن القلب، ذلك جعل الأمر أسهل، قد فقد بعض الدماء لكننا عوضناه عنها، سوف ينقل لغرفة خاصة ومن المتوقع أن يفيق بعد مدة من الوقت، من المتوقع أن تكون خمس ساعات.

*****

_جوناثان؟
استيقظت من غفوتي، على صوت إدريان يناديني، ركضت باتجاهه، فاحصًا كل جزءٍ منه، لا يوجد شيء، تنهدت ناظرًا إليه بعيون مطمئنة، قائلًا وأنا أجلس على الكرسي المجاور لسريره:
_أنت بخير؟ هل تشعر بأي ألم؟
لم يجب عليّ، نظر إلى السقف شاردًا، مما جعلني أصمت، لا يجب أن أضغط عليه، فالرجل به أحزان وكدمات تكفي بلدًا كاملة، راقبته محاولًا فهم ما يفكر به الآن، هل يلقي الذنب عليه؟ هل يلعن أندريه؟

ظللنا على هذه الحالة قليلًا من الوقت، ثم بعد استرجاع كامل الذكريات السيئة، حاول التماسك، لكنني لمحت بريقًا في عينيه ناتج عن دمعة تحارب للهبوط، قال بعد مدة من تفكيرٍ دقيق لسؤاله:
_جاك؟

حركت رأسي بأسف، قائلًا لتوضيح رؤيته للأحداث:
_حينما وصلت الشرطة كان قد فارق الحياة.
حاول النهوض ليجلس بصعوبة بسبب إصابته، ثم لهث قائلًا:
_وآرثر؟

=لقد هرب قبل وصولهم، وفي طريقه صادف أندريه و.....قتله.
نظرت إلى إدريان بعد آخر كلمة، أخاف أن أضغط عليه ويرهق، أو الأسوء قد يدخل في غيبوبة، لقد خرج مؤخرًا من عملية صعبة، رأيته يحرك رأسه يمينًا ويسارًا، وقد انتصرت الدموع وهبطت ببطء الحلزون، قال بصوتٍ يمتزج بشهقات قليلة:
_لقد حول ولدي يا جوناثان، لقد حوله، ولدي آرثر لم يكن عنيفًا أبدًا في حياته! جعله في يومان يقتل صديقه! أين هو الآن!

فزع ناظرًا لي، يأمل أن أكون أعلم بمكانه، قُلت بأسف:
_لا أعلم يا صديقي، لقد كنت مقيدًا أشاهد من الطابق الثاني، رأيته يهرب لكني لا اعلم وجهته.
صمت قليلًا مفكرًا في شكٍ، يدور في ذهني من الصباح، اردفت بعد لحظاتٍ قائلًا بغموض:
_لكنني أشك بمكانٍ ما، سوف أبحث عنه لا تقلق ولن أرجع غير وهو معي.

نظر إليّ إدريان بامتنان، فبادرت وضممته بصمت ، محاولًا مواساته.

*****

ليلة عاصفة، تتطاير أوراق الشجر من حولي، دخلت البوابة الحديقة، التي أخبرني إدريان عنها، يسير الناس عكسي، هاربين من الهواء البارد، وأسير أنا تاركًا الهواء يحركني، مستكشفًا الحديقة، اخطُ بجانب أشجارها الكبيرة، والزهور البيضاء التي تملأ كل جانب من الطريق المخصص للسير.

أكملت طريقي، أتتبع حدسي، بعدما بحثت بنصف الحديقة، حتى وصلت إلى أضخم شجرة بها، شعرت بحركة خفيفة ورائها، فذهبت لأرى من هناك.....آرثر وجدته، كان جالسًا بشرود مغمضًا عيناه، قرر الإنفصال عن العالم، لا أستطيع توقع ما يفكر به الآن، لكنني شعرت أنه الوقت المناسب للعودة إلى العالم.

جلست مقرفصًا بقربه، انتظرت أن يشعر بي، لكنه لم يكن يشعر بي، ناديته مرتين ولم يجب عليّ، بدأ القلق يتسلل إلى قلبي، فوضعت يدي على كتفه أحركه، قائلًا:
_آرثر، آرثر.

ارتجف جفنه، قبل أن يفتح عينيه بعين نصف مغمضة، وحينما انتبه إليّ، اعتدل بجلسته ساندًا ظهره على الشجرة، ناظرًا لي بعيونٍ ذابلة، تفتقر للحياة، كان منكسرًا، محطمًا من الداخل، لم أكن أعلم ماذا أقول، لا أجيد الحديث في مثل هذه المواقف.

بعد بضع لحظات، قد ملل انتظار أن أتكلم، بادر هو الحديث، مخرجًا الكلمات من فمه بصعوبة، قائلًا مرتجفًا قليلًا:
_ماذا تريد؟ أذهب من هنا فالهواء سيزداد برودة.
كاد يغلق عينيه مرة أخرى ليدخل في سباتٍ عميق، قاطعته قائلًا سريعًا:
_أنا صديق إدريان، والدك يحتاج أن يطمئن عليك، تعال معي ولا تقلق، أنت لست المسؤول عن أي شيء حدث.

تفاجئ من معرفتي به وبوالده وبما حدث، اتسعت عيناه بذهول، حتى استوعب الأمر، فعاد يغفو على الشجرة، قائلًا وصوته ظهر عليه الاختناق من تذكر الأحداث الأخيرة:
_قتلت صديقي، وكدت أقتل أبي، وتخبرني أنني لست مسؤولًا؟! كيف تريد مني تصديقك؟

بدأت الدموع تهبط رويدًا رويدًا، لكنه لم يتوقف، أكمل حديثه، وصوته يرتفع في كل ذكرى يقولها:
_ولقد استيقظت لأجد نفسي محاطًا بجثث أفراد الشرطة، وأمامي أبي مصاب، وكنت أمسك سلسلة حديدية، لا أريد تخيل ماذا كنت سأفعل لو لم أستيقظ من هذا الإغماء الغريب الذي كنت به!

شهق ناهيًا حديثه، سمح بالدموع أن تنزل بغزارة، أنهار باكيًا، تاركًا معتقدات العالم أن الرجل لا يبكي، تذهب إلى الجحيم، ذهبت أجلس بجانبه، لا يوجد كلمات تواسي ما يشعر به، قررت أن احكي له ما حدث لي، يمكن قد اشتت ذهنه.

قُلت بعد تفكيرٍ كثير، محاولًا إختيار الكلمات الصحيحة:
_أنا جوناثان، محقق، كنت أحقق في قضية اختفاء ميا أخت جاك، حتى اختطفت أنت أيضًا، فأصبحت أساعد والدك في العثور عليك، إدريان كان قلقٍ جدًا، اقتحمنا منزلًا، ومصنع مهجور، وخالف القانون، كله لأجلك.

نظرت له، وكان يبادلني النظرات بعيونٍ دامعة، انتظرني أن أكمل، فأكملت فرحًا بداخلي أن خطتي قد نجحت:
_اقترح أن تعود معي.
أكملت محاولًا المزاح لتخفيف الوضع:
_لن تدخل السجن لو كنت تخاف هذا، لكن يجب أن تعلم أنك ستدخل مشفى بعض الوقت.....

قاطعني ضاحكًا، قائلًا:
_مشفى للمجانين، أليس كذلك؟
شاركته الضحك، ثم وقفت، ومدتُّ يدي إليه، ليس ليقف، بل قائلًا له أنني هنا، بجانبه، حتى يتجاوز هذه الفترة هو وإدريان، وضع يده بيده، موافقًا القدوم، وقف مغادرًا، نظرت إليه مبتسمًا، لكن التفت حينما لاحظت شيئًا يلمع، فوجدت.....مسدس؟ من أين له هذا؟

متذكرًا عندما تعثر بجاك في المكان المهجور، كان بجانبه شرطي، أعدت نظري لآرثر، وقد انقبض قلبي، لكنني شعرت براحة بنفس الوقت، على عدم تأخري، وعثوري عليه بعد فوات الأوان، التقطت المسدس وخبئته بمعطفي، ثم ركضت قليلًا حتى اصبحت بجانبه، واضعًا يدي خلف رأسه، أتمسك به بكل قوتي، لن اتركه يضيع كما ضاع من قبل.

*****

«الخاتمة»
"في مركز الشرطى"

تقدم إدريان، وهو يسير بعرجة قليلًا بسبب إصابته، مقتربًا من طاولة مكتبه، المتواجد عليها ملف مفتوح، جلس وهو يقرأه سريعًا بعينيه، ثم فتح درج المكتب، مخرجًا ختم أحمر، ختم الملف، ثم قفله وذهب قافلًا باب المكتب.

ليأتي المشهد بزاوية آخرى، من أعلى المكتب، لنرى الملف الأصفر الباهت، لينفتح بمفرده، لنرى بخطٍ أسود كبير مكتوب:

"القضية رقم 18"
"تمت"

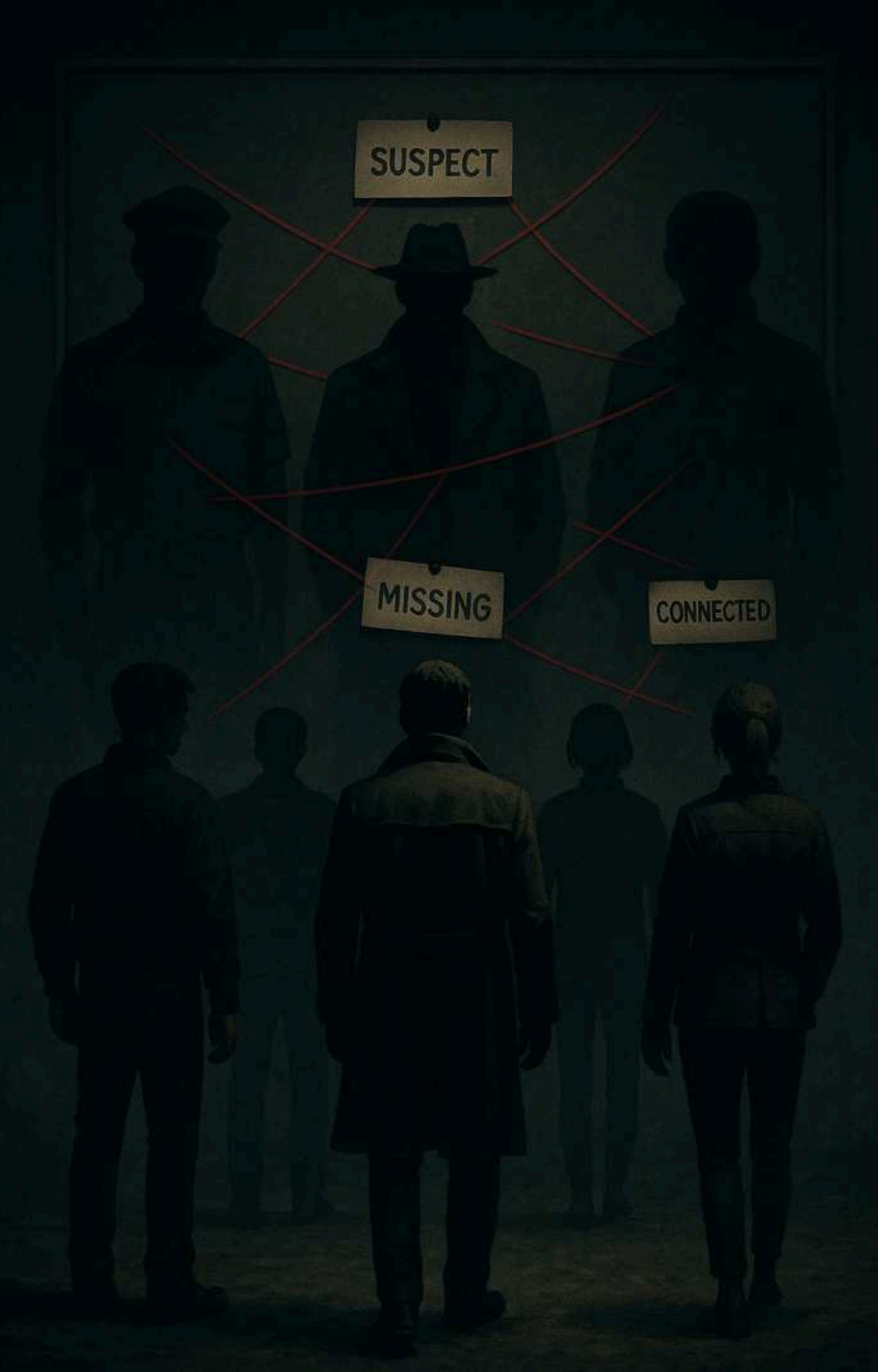
SUSPECT
MISSING
CONNECTED